المجلس (٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ نجتمع في مسجد رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس عِلم نرجو أن يكون نورًا لنا في الدنيا، ونرجو برَّه في الدنيا والآخرة.

حيث نجتمع عَلَىٰ عِلم من أفضل العلوم وأزكاها، نجتمع عَلَىٰ عِلم يتعلق بأعظم الحقوق، يتعلق بحق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فحق ربنا سُبْحَانَهُ أن يُوحد وأن يُفرد بالعبادة، فلا يُعبد إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكل عبادة سواءً كانت صغيرة أَوْ كبيرة هِيَ محض حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وصرفها لغير الله أعظم الظلم، وظلم عظيم نعوذ بالله من كل ظلم، الدعاء كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يجوز لأحد أن يدعو مع الله أحدًا، لا يجوز لأحد أن يدعو ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا وليًا صالحًا، ولا غير ذلك، فالنافع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الَّذِي يجلب النفع ويُعطيه، وَهُوَ الَّذِي يدفع الضر ويرفعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يُنذَر إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يُذبحُ إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولو أن عبدًا ذبح ذبابةً أَوْ بعوضةً لغير الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يكون قد أشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هٰذَا العلم العظيم عِلم التوحيد يتعلق بحق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ أعظم مَا ينبغي أن يعتني به المسلم وأن يحرص عليه المسلم وأن يحميه المسلم مقتديًا في ذلك برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث بالتوحيد ودعا إِلَىٰ التوحيد وحقق التوحيد وحارب الناس عَلَىٰ تحقيق التوحيد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِلم أمته كلها أن يُوحدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلى المسلم أن يحرص عَلَىٰ هٰذَا التوحيد.

وينبغي أن يعلم المؤمن أن عبادته لله لا تقبل إلَّا إِذَا كان فيها مخلصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متبعًا فيها لسنة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشرط قبول العبادة -أي عبادة-: الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإتباع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وضد الإخلاص: الشرك بالله، الشرك الأكبر بأن يعبد العبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشرك الأصغر من الرياء ونحوه، هٰذَا ينبغي أن يُخلِّص الإنسان عبادته منه، وأن يُخلص في عبادته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كما أن من شرط العبادة أن يتبع العبد فيها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل عبادة لم يعملها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرشد إليها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعملها من علمهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم صحابته فإن الله لا يقبلها، بل هِيَ بدعة مردودة عَلَىٰ أصحابها.

❐ فينبغي عَلَى العبد إِذَا أراد أن يفعل أمرًا يظنه أن يتحقق من أمرين:

الأَمْرُ الْأَوَّلُ: أنه مخلص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يبتغي بهذه العبادة أحدًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والأمر الثَّانِي: يتحقق أنه متبع في هَذِه العبادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا علم أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعمل هَذِه العبادة وكان يحث عليها أَوْ كان يُرشد إليها كسنة الفجر القبلية الَّتِي عندما أذن المؤذن قمنا جميعًا لنُؤديها، فإن هَذِه سنة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحث عليها وأخبر أنها خيرٌ مِمَّا طلعت عليه الشَّمْس.

أَمَّا إِذَا عِلم المؤمن أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعمل هٰذَا الشيء الَّذِي يُريد أن يجعله هٰذَا العبد عبادة ولم يُرشد إليه، فإنه يستحي من الله أن يتقرب إليه بعبادة لم تأتِ عَنْ طريق رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينفر من هٰذَا الفعل، ولا يفعله مهما زخرفه المزخرفون ومهما زينه المزينون.

فإنا نعلم مثلًا أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أعظم نعمة أنعم الله بها عَلَىٰ أهل الأَرْض قاطبة منذ أن نزل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ الأَرْض إِلَىٰ أن يرث الله الأَرْض ومن عليها، أعظم نعمة أنعم الله بها عَلَىٰ الناس أن بعث إليهم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا ونبيًا يُعلمهم دينهم، ويُبَيّن لهم طريق وصولهم إِلَىٰ ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولن يصل الناس إِلَىٰ الجنة بعد بعثته إلَّا من طريقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أغلق الله الطرق إِلَىٰ الجَنَّة بعد بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلَّا من طريقه صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فداه نفسي وأبي وأمي والناس أَجْمَعِيْنَ، نعلم هٰذَا ونُوقن بهذا ونحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعلنا من أتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ ننظر هل كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعل مولده ويوم ميلاده موعدًا لأمرٍ يتقرب فيه إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكرر كل عام؟ بحثنا عَنْ ذلك في سنة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما وجدنا في سنة حبيبنا وإمامنا وقدوتنا وقرة أعيننا وسيدنا وسيد ولد آدم أجمعين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادة تعلقت بمولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا عبادة واحدة تكون في كل أسبوع، ولا تكونوا في كل سنة: أَلَا وَهِيَ صيام يوم الإثنين، فإن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد في يوم الإثنين وعلمنا من السُّنَّة أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلد يوم الإثنين، وسنَّ لنا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نصوم يوم الإثنين.

وفتشنا وفتش غيرنا وبحث غيرنا فلم نجد عبادة تتعلق بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا هَذِه العبادة.

أَمَّا عبادة سنوية تتكرر في كل سنة يتقرب بها العباد إِلَىٰ الله بسبب مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنا لم نجد ذلك في سنته لا من قوله؛ لا بنص جلي ولا بظاهر ولا بغير ذلك، ولم نجد ذلك من فعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ فتشنا ووجدنا أن أحب الناس إِلَىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحب الناس لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ قاتلوا عنه وعن دينه وفدوه بأنفسهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُم، فما وجدناهم يفعلون عبادة تتعلق بمولد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكررونها كل سنة، مَا كانوا يحتفلون بهذا، بل ولا كانوا يفعلون أي عبادة في يوم من السنة يتكرر كل عام يتعلق بمولد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بل أعظم من هٰذَا نجد أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُعلمنا مَتَىٰ وُلد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُعلمنا متى ولد من السنة، وأن صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُخبرونا متى ولد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنة، وأن علمائنا لم يُجمعوا عَلَىٰ تاريخ مولده من السنة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل اختلفوا في ذلك.

ووالله ثُمَّ والله لو كانت هناك عبادة تتعلق بيوم مولد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحفظ الله لنا يوم مولده -أعني تاريخه- أَوْ أخبرنا بذلك رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أخبرنا بذلك صحابة

رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الدين لا يضيع، فلو كان هناك أمرٌ من الدين يتعلق بذلك لأُخبرنا بذلك.

ثُمَّ نظرنا فيمَنْ جاء بعد صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علماء الإسلام، فلم نجد أن التابعين ولا الأئمة الأربعة كانوا يعملون عبادة سنوية تتعلق بمولد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يرد عنهم في ذلك كلمة واحدة لا من باب الإثبات ولا من باب النفي؛ لأن هٰذَا العمل لم يكن معروفًا عندهم أصلًا، ولا يعملونه أصلًا، فما احتاجوا إِلَىٰ نفيه؛ لأَنَّهُ لم يكن يخطر على بال.

واستمر الحال في هَذِه الأمة عَلَىٰ هٰذَا إِلَىٰ القرن الرَّابع؛ حيث أنشأ الفاطميون بدعة الموالد للشيوخ، والموالد لكذا، والمولد للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصاروا يتقربون بذلك إِلَىٰ الله، وأنكر ذلك العلماء، ولم يقبله العلماء.

فالواجب عَلَىٰ المؤمن المحب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلزم غرز رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يتقدم عليه أبدًا، ويُحاول أَلَّا يتأخر عنه أبدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتبع سنته ويبتعد عما لم يفعله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ رجاءَ أن يرد حوضه يوم القيامة، وأن يدخل معه الجنة كما اتبعه في الدنيا.

ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله قد بلغ الدين كله، أقسم بالله العظيم أقسم بالله العظيم أقسم بالله العظيم أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ترك صغيرًا ولا كبيرًا مِمَّا يُشرع لنا أن نتقرب به إِلَىٰ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وبينه لنا بيانًا واضحًا كافيًا صافيًا، وما ترك من دين الله شَيْئًا.

ولذلك أيُها الإخوة من ابتدع في الإسلام بدعة يرى أنها حسنة فقد اتهم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه مَا بلغ الرسالة ولا أدى الأمانة حاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هٰذَا البهتان العظيم.

بل إن نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن لنا أن الله لا يقبل من عبد عملًا إِلَّا إِذَا كان عَلَىٰ أمر رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فمن أحدث في دين الله عَزَّ وَجَلَّ مَا لم يأت به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو رد مردود عَلَىٰ صاحبه.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»، فكل من يعمل بعمل ليس عليه أمر حبيبنا وقدوتنا وقرة أعيننا وسيدنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه مردود عليه لا يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

بل يا معاشر الفضلاء؛ إن ثلاثة نفر من أصحاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهبوا إِلَىٰ بيوت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عَنْ عبادته، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد غفر الله لَهُ مَا تقدم من ذنبه وما تأخر وَأَمَّا نحن فمؤاخذون بذنوبنا؟ فقَالَ أحدهم: أَمَّا أنا فأصوم ولا أفطر، وَقَالَ الآخر: وَأَمَّا أنا فأقوم ولا أرقد، وَقَالَ الْثَّالِث: وَأَمَّا أنا فلا أتزوج النساء، فلما عَلم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبرهم ولقيهم، قَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ تَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

هؤلاء الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم نياتهم طيبة، ومقاصدهم حسنة، يُحبون الله ويحبون رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأولوا وقالوا: إن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غُفر لَهُ مَا تقدم من ذنبه وما تأخر، أَمَّا نحن فمُؤاخذون بذنوبنا، فنحتاج أن نزيد في العبادة، وأن نعبد الله بعبادة شرعها الله، ولكن نزيد في هَذِه العبادة، رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أقرهم، بل أخبرهم أن الله لا يقبل من العمل إلَّا مَا وافق سنته، بل قَالَ: قولًا عظيمًا: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، يا لَهُ من أمرًا عظيم!

أيُها المؤمن أيسرك أن يقول رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حقك: لست مني، أعوذ بالله من أن يقول رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حق أحدنا ذلك.

إذًا الزم سنته وأحذر أن تعبد الله بعبادة مَا جاء بها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هَذِه القصة الَّتِي ذكرناها لم يكتفِ بقوله للَّذِينَ قالوا هٰذَا، بل صعد المنبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

ثُمَّ يا عبد الله مَا حاجتنا إِلَىٰ أن نتقرب إِلَىٰ الله بعبادةٍ لم تأتِ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله لو أنَّا قضينا أعمارنا نتقرب إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ بما جَاءَ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرنا أعمارنا كلها بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

واعلم يا عبد الله أنه مَا قام حب بدعة في قلب عبد إِلَّا مَات حُب سنة في قلبه، وما عمل ببدعة إِلَّا أُميتت سنة، اللَّهُ أَكْبَرُ، الله عَزَّ وَجَلَّ بعث لنا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا ديننا، فلنقدر هَذِه النعمة قدرها، ولنلزم غرز نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنبتعد عَنْ كل أمرٍ لم نعلم أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقرب إِلَىٰ الله به، أَوْ دلنا عليه مهما زخرف المزخرفون، ومهما قَالَ المتكلمون.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ والمتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يهدي أتباع مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ القيام بحقه، وأعظم حقوقه علينا أن نلزم سنته وألا نتقرب إِلَىٰ الله بعبادة إِلَّا من طريقه.

معاشر الفضلاء؛ كلمة مَا خطرت في بالي قبل أن أجلس عَلَىٰ هَذَا الكرسي، رأيت أن أطرحها عَلَىٰ مسامع إخواننا محبة لرسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة لأتباع رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحق المسلمين علينا أن نُبيِّن لهم مَا نعلم، وأن نذكر لهم مَا يقربهم إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، وما يُوصلهم إِلَىٰ جنة الله عَزَّ وَجَلَّ آخذين ذلك من مشكاة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إن درسنا كما علمتم في شرح: (**كشف الشبهات**) لشيخ الإسلام الإمام المجدد السائر عَلَىٰ سنن علماء أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، لا يحيد عَنْ طريقهم، ولا يُحدث أمرًا لم يقلوه: الإِمَام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا الكتاب الصغير في حجمه العظيم في نفعه.

وكنا في درسنا الماضي قد شرعنا في مسألة عظيمة كثر فيها الخلط وكثر فيها الخبط وكثر فيها الاعتداء؛ ألَا وَهِيَ: (**مسألة العذر بالجهل**)، وقد بَيَّنَّا إذ ذاك حدود هَذِه المسألة، وما هِيَ المسألة التي نتكلم عنها عندما نتكلم عَنْ العذر بالجهل في مسائل الشِّرْك؛ حَتَّىٰ لا تُنقل المسألة إِلَىٰ غيرها.

❍ **والقضية:** لو أن مسلمًا أسلم وحُكم بإسلامه، ثُمَّ فعل شركًا أكبر كدعاء غير الله وكالاستغاثة بغير الله وكالنذر لغير الله وكالذبح لغير الله، فإنه عند أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فاعلٌ للشرك الأكبر، وعَلَىٰ خطرٍ عظيم.

لكن إن فعل ذلك عَنْ جهل حيثُ لم يجد من يُنبهه، ولم يجد من يُعلمه، بل ربما وجد من يقول لَهُ: إن هَذَا من دين الله، أَوْ إن هَذَا من الواجب عليه، ففعل هَذَا وَهُوَ يجهل أنه حرام ويظن أنه من دين الله عَزَّ وَجَلَّ، فهل لا يُعذر بجهله في أحكام الدنيا والآخرة، فيكون مشركًا تجري عليه أحكام المشرك

في الدنيا فلا يُصلى عليه ولا يُستغفر لَهُ ولا يُحج عنه، ولا يُعتمر عنه، ويُفرق بينه وبين زوجته، ونحو ذلك من أحكام الدنيا، وكذلك في الآخرة تجري عليه أحكام المشركين، فلا يغفر الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ولا يدخل الجنة ويكون خالدًا مخلدًا في النَّار أبدًا؟

أم أنه يُعذر بالجهل في مسائل ولا يُعذر في مسائل؟ أم أنه يُعذر بالجهل في أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، فلا تُجرى عليه أحكام المشركين في الدنيا ولا تُجرى عليه أحكام المشركين في الآخرة، بل أمره إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ قد يغفر الله لَهُ وقد يُعذبه الله وقد يختبره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ أم يُقَالَ: أنه تجرى عليه أحكام الكفر والشرك في الدنيا، وَأَمَّا في الآخرة فأمره إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يغفر الله لَهُ، وقد يُؤاخذه بذنبه، وقد يختبره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ هَذِه المسألة.

☚ وقد علمنا أن المسألة تطرح من وجهين:

⇦ **الوجه الأول:** تحقيق قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في المسألة.

⇦ **والأمر الثاني:** كلام أهل العِلم في المسألة؛ حيث سنذكر كلام أهل العِلم في المسألة، ونذكر الأدلة، ثُمَّ نذكر الراجح فيما يظهر لنا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وقد شرعنا في الوجه اَلْأَوَّلُ؛ وَهُوَ تحقيق قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في المسألة.

⬅ **وعلمنا أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ جاءت عنه نصوصٌ ظاهرها:** أنه لا يعذر بالجهل في هَذِه المسائل مُطْلَقًا.

⬅ **وجاءت عنه نصوص:** فيها العذر بالجهل حَتَّىٰ في المسائل الظاهرة كفعل الَّذِينَ يعكفون عَلَىٰ قبر البدوي ونحوه، فقد جاء عنه مَا يدل عَلَىٰ أَنَّهُم يُعذرون.

⬅ **وجاءت عنه نصوصٌ:** فيها التفريق بين المسائل الظاهرة والخفية في هٰذِه المسألة.

وقلنا إذ ذاك: إنه لَا بُدَّ من التأليف بين هٰذِه النصوص، والجمع بينها، وتحقيق الرأي فيها.

وقلنا: إن الناظرين في هٰذَا؛ منهم من قَالَ: إن نصوص شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي فيها العذر بالجهل تُحمل عَلَىٰ المسال الخفية، وأن نصوص شيخ الإسلام الَّتِي فيها عدم العذر بالجهل تُحمل عَلَىٰ المسائل الظاهرة.

وقلت: إن بعض الناظرين في هٰذَا؛ قالوا: إن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أنه لا يُعذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وأن النصوص الَّتِي نص فيها عَلَىٰ العذر بالجهل فَهٰذِه خرجت لمناسبة خاصة لرد تشنيع المخالفين له عَلَىٰ دعوته الَّذِينَ يُريدون بذلك أن يقطعوا الطريق بين دعوة التوحيد وبين الناس.

وقلت: إن هٰذَا التخريج لا يستقيم، وإنه لا يصح، فإن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يُجامل في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يقول خلاف مَا يعتقد، بل هو من أصرح الناس في عقيدته، دعا الناس إِلَىٰ التوحيد صراحةً، ونهاهم عَنْ الشرك صراحةً، وعاداه من عاداه من أجل ذلك، فليس من الصحيح أنه يقول للناس إنه يعذر الناس بالجهل والحقيقة أنه لا يعذرهم، هٰذَا لا يستقيم أبدًا في حق هٰذَا الإمام العظيم رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَة وَاسِعَةً.

وقلنا: إن من الناظرين في هٰذِه المسألة من ذهب إِلَىٰ أنَّ رأي شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة في هٰذِه المسألة أن جهل الإعراض لا يُعذر به لا في أحكام الدنيا ولا في أحكام الآخرة، أَمَّا الجهل الحقيقي لعدم وجود من يُنبه، ولعدم وجود من يُعلم هٰذَا لا يُعذر به في أحكام الدنيا، بل تُجرى عَلَىٰ فاعل الشِّرْك أحكام الدنيا في الظاهر، ولكن يُعذر به في أحكام الآخرة.

وقد شرعنا في قراءة كلام العلامة الشيخ المحقق المدقق: الشيخ صالح آل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في هٰذَا الصدد، والشيخ حَفِظَهُ اللهُ بعد أن أصل المسألة، وبين أن الكفر منه كفر الإباء والجحود والعناد ومنه كفر الإعراض، ثُمَّ ذَكَرَ الواقع الَّذِي ذكره جده شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَهُوَ: أن كثيرًا ممن ينتسبون إِلَىٰ الإسلام يجهلون حقيقة التوحيد الَّذِي جاءت به الرسل، ويجهلون كثيرًا من مسائلِ الشِّرْك.

وبين أن من فعل شيئًا من الشِّرْك الأكبر يُقال له: مشرك، أَمَّا في تنزيل الأحكام عليه، فإن ذلك يتنوع حيث قَالَ: "فإن أقيمت عليه الحجة الرسالية" وأظن أنَّا وقفنا هنا قَالَ: "لمن فعل الشِّرْك الأكبر، فإن أقيمت عليه الحجة الرسالية من خبير بها؛ ليُزيل عنه الشبهة وليفهمه بحدود مَا أنزل الله عَلَىٰ رسوله من التوحيد وبيان الشِّرْك فترك ذلك مع إقامة الحجة عليه، فإنه يُعد كافرًا ظاهرًا وباطنًا؛ أي في أحكام الدنيا وفي أحكام الآخرة، تُجرى عليه أحكام الكفر في الدنيا ويُعتقد فيه جريان أحكام الكفر عليه في الآخرة".

"وَأَمَّا المعرض"؛ يقصد الشيخ هنا الجاهل لعدم من يُنبهه، كما سيأتي في كلامه، ولا يقصد المُعرض عَنْ التَّعَلُّم، مع أن العلم مبذول لَهُ، عندما قَالَ الشيخ هنا: "وَأَمَّا المعرض" فقصده: وَأَمَّا الجاهل جهلًا حقيقيًا لعدم وجود من يُنبهه، وَهٰذَا سيتضح في كلامه إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ: "وَأَمَّا المعرض فهو يُعامل في الظاهر معاملة الكافر"؛ أي أنه لا يُعذر بجهله في أحكام الظاهر في أحكام الدنيا، فالجاهل جهل أعراض والجاهل جهلًا حقيقيًا لعدم وجود من يُنبهه يستويان في عدم عذرهما بالجهل في أحكام الدنيا، وأنا أشرح كلام الشيخ، وَأَمَّا رأيي فسأذكره إِنْ شَاءَ اللهُ لاحقًا.

قَالَ: "وَأَمَّا باطنه فإنه لا نحكم عليه بالكفر الباطل إلَّا بعد قيام الحجة عليه"؛ يعني إلَّا بعد زوال الجهل عنه؛ لأَنَهُ من المتقرر عند العلماء أن من تلبس بالزنا فهو زانٍ، مَا دام أنه فعل الزنا فهو زانٍ، وقد يُؤاخذ وقد لا يُؤاخذ، قد تُجرى عليه العقوبة وقد لا تجرى عليه العقوبة، فإذا كان عالمًا بحرمة الزنا فزنا فهو مؤاخذ، وإِذَا كان أسلم حديثًا وزنا غير عالم أنه محرم فاسم الزنا باقٍ عليه؛ لأن حقيقة الفعل قد وقعت منه، لكن لا يُؤاخذ بذلك لعدم علمه.

وَهٰذَا -أعني الجهل بالمسائل الظاهرة- ممكن في حال فشو الجهل، عندما سقط الإتحاد السوفيتي وتحررت الدول الَّتِي كانت تحته ذهب من ذهب من الجامعة الإسلامية وغيرها إِلَىٰ تلك الدول الإسلامية الَّتِي كانت تحت الإتحاد السوفيتي، فوجدوا من الناس من يفتح الخمر، ويقول: بسم الله ويشرب الخمر، ويقول: بسم الله، مَا يعلمون أن الخمر مُحَرَم، أكثر من سبعين سنة من الإظلام والتعتيم مَا كان أحدهم يستطيع أن يتعلم الدين إلَّا من كان يتخذ سردابًا تحت الأَرْض يجتمع فيه مع قليل من الطلاب يتعلمون الدين، فكانوا جاهلين بحكم الخمر، ولما بين لهم من ذهب إليهم حكم الخمر تركوه.

فقصدي أن المسائل الظاهرة في بعض دول المسلمين هِيَ خفية في بعض دول المسلمين، وَهٰذَا سنكرره ونقرره عندما نُبين رأينا في هَذِه المسألة.

قَالَ: "وَهٰذَا هو الجمع بينما ورد في هٰذَا الباب من أقوالٍ مختلفة"؛ يعني في مسألة العذر بالجهل، قَالَ: "فإذًا يُفرق في هٰذَا الباب بين الكفر الظاهر والباطن، والأصل: أنه لا يُكفر أحد إلَّا بعد قيام

الحجة عليه؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، والعذاب هنا إنَّمَا يكون بعد إقامة الحجة عَلَىٰ العبد في الدنيا أَوْ في الآخرة.

قد يُعامل معاملة الكافر"؛ يعني الدنيا، "استبراءً للدين وحفظًا لَهُ"؛ يعني قد..، وَهٰذَا الَّذِي يرى الشيخ أنه رأي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة أنه من فعل الشِّرْك الأكبر في الدنيا يُعامل معاملة المشرك، لا لكونه عندهم مشركًا في الباطن، وَإِنَّمَا استبراءً للدين وحفظًا للموحدين من جهة الاستغفار له؛ يعني حَتَّىٰ لا يستغفر الموحد للمشرك، ومن جهة عدم التضحية لَهُ وَأَلَّا يُزوج وأشباه ذلك من الأحكام.

قَالَ: "فإذًا كلام أئمة الدعوة في هَذِه المسألة فيه تفصيلٌ مَا بين الكفر الظاهر والكفر الباطن، ومن جهة التطبيق في الواقع يُفرقون، فإذا أُوتي للتأصيل قالوا: هٰذَا كفْر سواءً كان كفره عَنْ إعراض وجهلٍ، أَوْ كان كفره عَنْ إباءٍ واستكبار، وإِذَا أُوتي للتطبيق عَلَىٰ المعين أطلقوا الكفر عَلَىٰ من أُقيمت عليه الحجة الرسالية البينة الواضحة، وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَقم عليه الحجة، فتارةً لا يُطلقون عليه الكفر، كما قَالَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع: **(وإِذَا كنا لا نكفر من عبد الصنم الَّذِي عَلَىٰ عبد القادر والصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم)**.

الشيخ مَا كفر أهل الجبيلة ونحوهم ممن عندهم بعض الأوثان في أول الأَمْر لأجل عدم بلوغ الحجة الكافية لهم، وقد يطلق بعضهم"؛ يعني بعض أئمة الدعوة، "عَلَىٰ هؤلاء الكفر ويُريد به أن يُعاملوا معاملة أهل الكفر"؛ يعني في الدنيا، "حرزًا ومحافظةً لأمر الشريعة والإتباع حَتَّىٰ لا يُستغفر لمشرك، وَحَتَّىٰ لا يضحى عن مشرك، أَوْ أن يتولى الموحد مشركًا ونحو ذلك من الأحكام".

إذًا أنتبه هنا الشيخ صالح آل الشيخ وَهُوَ من أعرف الناس بعلم أئمة الدعوة يقول: إن أئمة الدعوة منهم من لا يُطلق الكفر عَلَىٰ هؤلاء حَتَّىٰ في أحكام الدنيا، ومنهم من يُطلق عليهم الكفر في أحكام الدنيا، لا في الباطن إِذَا كان جهلهم حقيقيًا؛ لعدم وجود من يُنبههم.

يقول: "فإذًا نخلص من ذلك أن قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعرفت مَا أصبح غالبًا الناس عليه من الجهل بهذا)** أنَّ هٰذَا الجهل بالتوحيد مذمومٌ غاية الذم سواءٌ أطلقنا عليه حكم الكفر ونعني به الظاهر، لا

الكفر الكامل الَّذِي هو ردة ومخرج من الدين أصلًا، وَإِنَّمَا الكفر الظاهر الَّذِي تترتب عليه الأحكام الظاهرة في الدنيا"؛ وَهٰذَا قول بعض أئمة الدعوة.

"أَوْ قلنا أنه في هٰذَا أتى بخطرٍ عظيم في جهله بالتوحيد، لكن لم نُطلق عليه أحكام الكفر وَهٰذَا القول الآخر الَّذِي أشار إليه في كلامه، فهذا يُنبئك عَنْ أن غالب الناس اليوم كما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]".

قَالَ إِلَىٰ أن قَالَ: قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد يقولها وَهُوَ وجاهل فلا يُعذر بالجهل)**؛ قَالَ الشيخ صالح: "لأَنَهُ أعرض مع تمكنه من المعرفة، أعرض مع قرب الحجة منه، فجهله لا بسبب خفاء الحق أَوْ بسبب عدم وجود من يُنبهه، وَإِنَّمَا جهله بها لأجل الإعراض"؛ يعني أن جهل الإعراض لا يعذر فيه بالجهل لا في الظاهر ولا في الباطن، أَمَّا الجهل الحقيقي فأئمة الدعوة يرون أنه يُعذر فيه في الباطن، أَمَّا في الظاهر منهم من يقول: لا يُعذر فيه، لا بالجهل في أحكام الدنيا الظاهرة، ومنهم من يقول: يُعذر، هٰذَا كلام الشيخ.

فقَالَ: "فإذًا هنا نُلحظ التفريق في الجهل مَا بين الجهل الَّذِي سببه عدم وجود من ينبه بالحق، والجهل الَّذِي سببه الإعراض؛ فالجهل الَّذِي سببه الإعراض مع وجود من يُنبه هٰذَا لا يُعذر به العبد"؛ تذكروا الَّذِي قلت لكم في تفسير: "وَأَمَّا المعرض"، وقلت: سيأتي تفسيره في كلامه.

قَالَ: "فالجهل الَّذِي سببه الإعراض مع وجود من يُنبه هٰذَا لا يعذر به العبد، وَأَمَّا الجهل الَّذِي يكون لأجل عدم وجود من يُنبه، فإنه يُعذر به حكمًا في الآخرة حَتَّىٰ يأتي من يُقيم عليه الحجة، ولا يُعذر به في أحكام الدنيا، فهو عَلَىٰ كل حال متوعدٌ بهذا الوعيد العظيم".

ومن الناظرين في كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ من قَالَ: إن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ يَعذر بالجهل في هَذِه المسائل بلا شك، ولكن الجهل الَّذِي يعذر به هو الجهل الحقيقي؛ لعدم وجود من يُنبهه، لعدم وجود من يعلموه، أَمَّا جهل الإعراض فلا يَعذر به رَحِمَهُ اللَّهُ.

وممن قرر هٰذَا الإِمَام الفقيه المتفنن في علومه الَّذِي لا تقرأ لَهُ شَيْئًا إلَّا وتخرج بفوائد، هٰذَا الإِمَام الَّذِي لو تعلم طلاب العِلم عليه -أعني ولو بقراءة سيرته والسماع لَهُ- لتهذبت أخلاقهم واندفع كثير من الشر بينهم، ولحسن علمهم، ذلكم الإِمَام الشيخ بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه عَلَىٰ قول الشيخ: "فإنك إِذَا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وَهُوَ جاهل فلا يُعذر الجهل" قَالَ: تعليقنا عَلَىٰ هَذِه الجملة من كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أولًا: لا أظن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرى العذر بالجهل، اللّٰهم إلَّا أن يكون منه تفريط"؛ يعني إلَّا أن يكون من الجاهل تفريط، "اللّٰهم إلا أن يكون منه" الضمير هنا يرجع إِلَىٰ الجاهل.

"تفريط بترك التعلم مثل: أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يُعذر بالجهل، وَإِنَّمَا لا أظن ذلك من الشيخ"؛ يعني لا أظن الشيخ لا يرى العذر بالجهل؛ لأن لَهُ كلامًا آخر يدل عَلَىٰ العذر بالجهل، فقد سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عما يُقاتل عليه، وعما يُكفر الرجل به"؛ فذكر الكلام الَّذِي يعني ذكرنا بعظه فيما مضى.

قَالَ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في تخريج كلام الشيخ: يرى أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يَعذر بالجهل إِذَا كان عَنْ إعراض، أَمَّا الجهل الحقيقي فإن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يعذرُ به ولو كان في المسائل الكبيرة، ولا شك أن من عُرض عليه العِلم فأبى، وتيسر لَهُ العِلم فأبى أن يتعلم التوحيد وأصر إلَّا أن يبقى عَلَىٰ الشِّرْك، لا شك أن هٰذَا ليس بجاهل، بل هٰذَا معرض. هٰذَا أبى الحق ودفع الحق ولم يُرد الحق.

أَمَّا مَنْ لَمْ يتيسر لَهُ ولم يجد من يُنبهه عَلَىٰ أن الَّذِي يفعله شِّرْك، وبل يكون قد وجد ممن ينتسب إِلَىٰ العِلم في زمانه ومكانه من يقول لَهُ: إن هٰذَا هو الدين، وإن هٰذَا هو تحقيق عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هٰذَا لا شك أنه جاهل ولم يكن معرضًا.

✍ **والظاهر من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:** أنه يعذره حَتَّىٰ يعلم أَوْ يُبذل لَهُ العِلم فيأبى أن يتعلم، هٰذَا الَّذِي يظهر من كلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وَأَمَّا الوجه الثَّانِي: فهو تقرير كلام العلماء في العذر بالجهل:

وهم ينقسمون إِلَى ثلاثة أقسام:

١) قسم: يرون أنه لا يُعذر بالجهل في هَذِه المسائل، ويذكرون شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب معهم في هٰذَا الرأي.

٢) وقسم: يرون أنه يُعذر بالجهل في المسائل الخفية، ولا يُعذر بالجهل في المسائل الظاهرة، ويرون كَذَلِكَ أن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ يرى هٰذَا الرأي.

٣) وقسم يرون أنه يُعذر بالجهل في هَذِه المسائل، وهم أيضًا يرون أن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يرى هٰذَا.

وإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الدرس القادم سنذكر أقوال العلماء في كلٍّ -أعني في الأقوال الثلاثة-، وننقل نصوصهم؛ لنعرف أن العلماء منهم من ظاهر كلامه هٰذَا القول، ومنهم من ينص عَلَىٰ هٰذَا القول، ومنهم من ينص عَلَىٰ هٰذَا القول.

ثُمَّ نذكر أدلة كل قول إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ نذكر الراجح، وَهٰذَا إِنْ شَاءَ اللهُ سنجعله في مجلس واحد قد يطول المجلس، لكن حَتَّىٰ لا نُفرق الكلام سنجعله إِنْ شَاءَ اللهُ في مجلس واحد، وَهُوَ مجلسنا القادم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفقهنا في دينه، وأن يجعلنا محققين للتوحيد، وأن يجعلنا حماةً للتوحيد، وحماةً لدعوة التوحيد من أن يُلصق بها مَا ليس منها، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.